



دِرَاسَاتُ عَرَبِيَّةٍ وَإِسْلَامِيَّةٍ
دورية علمية محكمة

يوليو ٢٠١٠م

العدد الثالث

السنة الأولى

التعريب

ماهيته ، أهميته ، معوقات تحقيقه

الدكتور إبراهيم كايد محمود

أستاذ اللغويات المشارك

كلية التربية - جامعة الملك فيصل

التعريب

ماهيته ، أهميته ، معوقات تحقيقه

إعداد :

الدكتور إبراهيم كايد محمود

أستاذ اللغويات المشارك

كلية التربية - جامعة الملك فيصل

اللغة كائن حيّ ينمو ويتطور ويرتقي ، وظاهرة اقتراض الألفاظ من أهم الوسائل التي تعتمد عليها اللغة في تطورها وارتقائها ، وهي مطردة في كل لغات البشر قديمها وحديثها ، وهي ما أطلق عليها العرب "التعريب" . والاقتراض بين اللغات سنة حتمية لا بد منها ، وأمر يقيني لا مفر منه ، ولابد من التأثير والتأثير والأخذ والعطاء بين اللغات ، فلا يمكن لأي لغة أن تمتنع من ذلك وتعيش في عزلة تامة عن غيرها ، لابد لها أن تحتك بغيرها من اللغات ، وإذا حصل هذا الاحتكاك وهو أمر لابد منه ظهر التأثير والتأثير واضحا تماما .

إن التعريب قضية هامة ، لأنه رافد من روافد اللغة العربية ، يسهم في إثرائها من أجل مسيرة الركب الحضاري العالمي ، إضافة إلى أنه قد يكون منفذاً للعلماء والباحثين حين يستعصي عليهم ترجمة معنى جديد في أبحاثهم ومؤلفاتهم ، وحين يستغل باب التعبير عن بعض المخترعات والمستجدات التي لا وجود لها في مجتمعنا . كما أن له مساساً كبيراً بحياتنا الاجتماعية وصلة وثيقة بمستجدات العصر العلمية والتقنية التي نحتاج إليها .

وقد شغلت قضية التعريب هذه علماءنا القدماء ، فحدّدوا مفهومها ووضحوا الحدود التي يجب الالتزام بها عند التعامل مع هذه القضية ، وأفادوا منها في التعبير عما يجد لهم من مسميات فحفظوا اللغة من الجمود والضياع، وتمكنت العربية من التعبير عن كافة العلوم والفنون ، وصلحت لأن تكون لغة علمية عالمية أسهمت بدور هام في الحضارة العالمية .

ماهية التعريب :

التعريب لغة : الإبانة والإفصاح . جاء في لسان العرب : الإعراب والتعريب معناهما واحد ، وهو الإبانة ، يقال : أعرب عن لسانه وعرب أي : أبان وأفصح وأعرب عن الرجل بيّن عنه ، وعرب عنه تكلم بحجته ، وعربه علمه العربية^(١) .

التعريب اصطلاحاً : تعريب الاسم الأعجمي أن تتقوه به العرب على منهاجها ، تقول : عربته وأعربته^(٢) . وهو نقل لفظ من العجمية إلى العربية ، والمشهور فيه التعريب ، وسماه سيبويه وغيره إعراباً^(٣) .

عرف العرب التعريب منذ العصر الجاهلي ، وأفادوا منه كثيراً في تعاملهم مع الألفاظ التي وفدت إليهم من لغات الأمم التي احتكوا بها ولم يكن بإمكانهم تجاهل هذه الألفاظ أو طردها من لغتهم والاستغناء عنها لأنها تعبر عن حاجات جدت لهم ، فكان لزاماً عليهم أن يقبلوها في لغتهم .

ونهجوا في تعريبهم لتلك الألفاظ نهجاً معيناً ، إذ كانوا يخضعونها لعمليات لغوية مناسبة كالزيادة أو الحذف أو التغيير في الحروف أو الحركات، حتى

تتلاءم مع لغتهم ، ويسهل عليهم استعمالها والنطق بها نطقاً صحيحاً يتناسب وطبيعة العربية ، وهذا ما أشار إليه الجواليقي بقوله : "اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها ، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً"^(٤) .
فالقضاء فهموا من التعريب نقل اللفظة الأعجمية إلى العربية مع إجراء بعض التعديلات رأوا ضرورتها لتتوافق هذه اللفظة مع القواعد الصوتية والصرفية والنحوية في اللغة العربية لأنها "لغة إذا دخلتها كلمة أجنبية عنها ، قلق موضعها ، حتى تأخذ وزن كلمات اللغة وهيئة حركاتها ، لتساكلها وتمائلها وتأنثف معها ، لذلك نراهم يشذبون الكلمات الأعجمية الطارئة التي لم تأت على أوزان العرب ، بالحذف والإبدال حتى تلائم الأسلوب العربي"^(٥) .

ويمكن القول أن التعريب عند القدماء كان محصوراً في الألفاظ من حيث الشكل والمبنى ، فقد كان جلّ همهم مُنصباً على الأصوات ، وهذا عمل هام وخطوة جادة على طريق التعريب ، إذ أن تعريب المادة الصوتية من أهم مراحل تعريب الألفاظ ، حيث أن ذلك يبقى للغة أصواتها الأصلية دون أن يظهر فيها ما قد يشوه طبيعتها الصوتية ، فتبقى بوجهها المألوف وطبيعتها المتعارف عليها ، بل إن تعريب الألفاظ لن يكون عسيراً إذا تمّ تعريب الأصوات . وقد أشار صبحي الصالح إلى هذا بقوله : "والعربية — على اتساع مدرجها الصوتي — ازدادت سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتاً تقاربها مخرجاً أو صفة ، إذ عربت هذه الألفاظ الدخيلة ، وحددت لها

مواقعها من جهاز النطق ، فلم يستعص على ألسنة العامة فضلاً عن الخاصة ، فقطع بذلك الشوط الأول من التعريب : ألا وهو تعريب المادة الصوتية ، وتطويعها لأصوات العربية . ولا ريب في أن هذا الشوط من تعريب الأصوات هو أهم الأشواط ، فمن بعده لن يكون عسيراً أن تعرب الكلمات الدالة على مفهوم حضاري معين^(١).

ولم تقف عملية التعريب عند هذا الحد ، بل امتدت لتشمل تلك المرحلة من الترجمة ، التي ترجمت فيها علوم الأمم الأخرى وفنونها ، وكانت اللبنة الأولى في بناء الحياة العلمية العربية .

ويمكن القول أن عملية التعريب عند القدماء نجحت نجاحاً باهراً ، وزودت اللغة العربية بكل ما احتاجت إليه من الألفاظ والمصطلحات ، وقد استوعب العرب هذا الأمر وهضموه وتمثلوه فأصبحت لغتهم بذلك لغة العلم والحضارة في العالم أجمع .

ومن أهم أسباب نجاح التعريب في ذلك الوقت اعتزاز العرب بلغتهم التي هي لغة القرآن الكريم ، فأيقنوا أن الحفاظ عليها والعمل على تطويرها ونشرها أمر هام وضرب من التعبّد ، إضافة إلى ذلك فقد توفر للعلماء كل وسائل التعريب ، فتوفر لهم المادة العلمية من الكتب والمخطوطات التي حرص الخلفاء والأمراء على توفيرها ، وأغدقوا الأموال من أجل تحقيق هذه الغاية ، ونتج عن ذلك إقبال العلماء والأطباء والفلاسفة والمترجمين على العمل في هذا المجال من أجل الإسهام في تنمية العربية والنهوض بها .

أما في العصر الحديث فقد اختلف الحال ، واختلفت المفاهيم في هذه القضية ، فبعد الاستقلال وجد العرب أنفسهم متخلفين في ركب الحضارة العالمي ، فهب

المخلصون يتلمسون سبل الارتقاء بالأمة ، فعملوا على النهوض بالعربية إيماناً منهم بأن اللغة هي أساس كل تطور ونهضة ، ولمسوا أنهم في مسيس الحاجة إلى مواكبة الركب الحضاري ، وأن لغتهم تفتقر افتقاراً شديداً إلى المصطلحات العلمية والتقنية، وأن التعريب لا غنى عنه من أجل توفير هذه المصطلحات . وأدركوا كذلك أنهم يخوضون صراعاً مريراً مع مخلفات الاستعمار ، وما حاول جاهداً ترسيخه في ثقافة الإنسان العربي ، فعمدوا إلى مقاومة هذه المفاهيم وأفادوا من خصائص العربية كالاشتقاق والقياس والنحت والترجمة وغيرها .

والحق أن مشكلة التعريب هي مشكلتنا في هذا العصر، إذ أصبح التعريب ضرورة ملحة لبناء الأمة وأساس من أسس نهضتها "فقد أصبح من المسلم به كنتيجة لإجماع الآراء أن التعريب ضرورة لبناء الأمة العربية ، ومن المرتكزات الأساسية لنهضتها"^(٧) .

ولم يقتصر التعريب في هذا العصر الحاضر على الألفاظ ، بل أصبح له كثير من الجوانب الفنية والاجتماعية والسياسية ، لأن كل عالم ينظر إليه من الزاوية التي تهمة ويرى أنها الأجدى في نهضة الأمة، فله الإبهام والغموض وعدم الوضوح مما ترتب عليه عدم المقدرة على تحديد مفهومه بدقة ووضوح . فتعددت دلالاته وتشابكت معانيه ، نظراً لتعدد القضايا وتشابك المصالح ، فأصبح ينظر إليه نظرة شمولية واسعة ذات أبعاد فلسفية معينة لا تقتصر على تعريب الألفاظ فقط .

دلالات التعريب :

تراوح حديث العلماء عن التعريب بين عدد من المفاهيم ، فلم يقتصر معناه ومفهومه على التعريب اللغوي وتدخل الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية ، بل تعدى هذه الدائرة إلى مفاهيم أوسع وأكثر شمولية ، فهو نابع من إرادة جماهير الأمة ويعكس طموحاتها وآمالها في الانعتاق من التقليد والتبعية، ويفتح الطريق أمام بناء الدولة العربية الموحدة المعاصرة ، ويسهم بدور كبير في القضاء على التبعية الثقافية التي لا تزال الأقطار العربية تعاني منها ، هذه التبعية تقف حائلاً أمام كل تقدم فكري أو حضاري في حياة أمتنا ، كما أنها كرّست ولا تزال تكرر في نفوس أبناء الأمة قصورهم عن الإبداع والخلق والابتكار ، مما أدى إلى شبه قناعة لدى المواطن العربي بأنه دون غيره من أبناء الأمم الأخرى ، وربما استقر في ذهنه أنه لا يمكن أن يكون مبدعاً ، وعليه أن يظل مستهلكاً . وهذا يعني أنه يجب العمل على تحرير التفكير العربي من كل هذه القيود والمفاهيم الزائفة من أجل بناء الأمة العربية المعاصرة ، وخلق جيل متحرر الفكر ، معرب التفكير ونمط الحياة ، واثق من نفسه ومقدرات أمته .

وهذا يعني أن التعريب لابد أن يمس الحياة العربية بكل جوانبها وبكل أبعادها، اجتماعياً وثقافياً وفكرياً وقومياً حتى يكون "الشمول صفة أساسية من صفات التعريب باعتباره قضية قومية مشتركة"^(٨).

وقد حدد كمال بشر معاني التعريب ودلالاته كما يلي :

١- إخضاع النصوص والأعمال الأجنبية — علمية أو أدبية أو فنية — لشيء من التصرف في مبناها ومعناها وذلك بتطويعها لمقتضيات الظروف وأنماط

التقاليد الاجتماعية والثقافة العربية ، وجعلها ذات سمة عربية في الإطار العام^(٩) . فدلالة التعريب هنا تدل على الترجمة العامة للأفكار في العمل الأجنبي، أو فهم المضمون العام لتلك الأعمال الأجنبية وتهذيبها بما يساير الذوق العربي والحياة العربية ، وذلك بالتخلص من النصوص والأمثلة الواردة في تلك الأعمال التي تتنافى مع القيم والمبادئ العربية والإسلامية ، واستبدالها بما يفيد الغرض ويناسب الواقع الاجتماعي والخلقي للحياة العربية ، أي أن نأخذ الأفكار الرئيسية من الأعمال الأجنبية أو نقتبسها منها ثم نبني عليها .

٢- الترجمة^(١٠) : وهذه الدلالة غير دقيقة لأن الترجمة نقل للمعاني لا للألفاظ ، أما التعريب فيتعامل مع الألفاظ وينقلها إلى العربية بعد تطويعها لقوانين العربية ، أو إبقائها كما هي في أصلها الأجنبي ، فلا دخل للتعريب في المعاني .

٣- تطويع الألفاظ الأجنبية بردها إلى الصور العربية صوتياً وصرفياً^(١١) . وهذا ما نهجه قداماؤنا ، وهو ما يفهم منه تعريب المصطلحات العلمية والفنية والتقنية .

٤- تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا التي تضم مئات الأقسام العلمية من التدريس باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرها إلى التدريس باللغة العربية ، واعتماد اللغة العربية لغة التدريس الجامعي

والبحث العلمي والتقنيات الحديثة^(١٢) . وهذا يعني التخلص من الثنائية اللغوية التي لا تزال تهيمن على الجامعات والمعاهد العلمية في الوطن العربي .

إلى جانب ذلك فإن التعريب يعني كذلك : تعريب مؤسسات كل دولة من الدول العربية ، وجعل العربية الفصحى وسيلة التفاهم والتخاطب والمكاتبات في كل الدوائر ، إضافة إلى تعميم هذه الفصحى لتشمل كل مناحي الحياة المختلفة .

فالتعريب بهذا الفهم هدف استراتيجي يمكن أن يطلق على عدة قضايا ومفاهيم كلها تتصهر في بوتقة واحدة ، وتمس جوانب الحياة العربية كافة ، فهو يعني الشمولية لكل مناحي الحياة في المجتمع العربي ، إضافة إلى أنه مقوم أساسي من مقومات الأصالة الثقافية عند العرب ، ومن هنا يمكن القول إن التعريب ذو جانبين : جانب لغوي يتركز حول اللغة وقضاياها المختلفة ، وجانب اجتماعي يتصل بكل جوانب الحياة الاجتماعية .

التعريب اللغوي :

إن أول ما يعنيه التعريب اللغوي هو أن تسود العربية الفصحى مناحي الحياة العربية كافة ، وأن يعم استعمالها كل أبناء الوطن العربي في أقطارهم المختلفة ، فقد عمل المستعمر على محاربة الفصحى بكل الطرق والوسائل ، وزرع الشك في نفوس أهلها ، وإقناعهم بأنها لغة العصور الوسطى ، وهي ليست إلا لغة عاطفة وخيال ، لا تصلح للتعبير عن القضايا العلمية والمبتكرات التقنية ، كما أنها لا يمكن أن تصبح لغة علمية يعتمد عليها في تسجيل الاختراعات والابتكارات ، إيماناً منه أن أية أمة لا تنهض إلا من خلال لغتها القومية ، لأن

اللغة هي أداة الإبداع وأساس التفكير والترابط بين أفراد المجتمع ، فإذا كانت اللغة مشوشة مهمشة كان الفكر الناتج عنها مشوشاً هامشياً .

وقد أدرك الزعماء السياسيون في العالم أهمية اللغة القومية في توحيد أبناء الوطن ، والتفاهم حول الأهداف التي ينادون بها ، كما آمنوا بأن أي تغيير داخل المجتمع لا يكون إلا بلغته القومية ، فإذا كنا في الأمة العربية نطمح إلى التطور الفكري والثقافي فإنه يتحتم علينا أن ننظر إلى لغتنا باعتبارها أهم الأسس التي يبنى عليها هذا التطور ، ولابد من العمل على حمايتها وتطويرها

هنا تكمن أهمية التعريب الذي يعني بهذا الفهم استعمال اللغة العربية في كل شؤون الحياة وتسويدها عند أبناء الأمة كلهم ، وخلق وترسيخ الانتماء إليها ، والعمل على إتقانها ، وخلق شعور الاعتزاز والفخر بها ، وتكريس الفهم بأنها أساس الوحدة العربية المنشودة ، كما أنها هي التي خلقت هذه الوحدة ، وحافظت عليها أمام كل محاولات التجزئة والتقسيم لكيان هذه الأمة، فكل "شعور بوحدة الأمة العربية مرتبط أصلاً برباط اللغة التي هي الجامع الأساسي بين أفراد الأمة" (١٣) .

وإذا كنا ندرك أهمية التحرر الثقافي وضرورته ، وإنهاء حالة التبعية الثقافية التي تعيشها أمتنا فلا بد لنا من العودة إلى لغتنا والعمل على تطويرها لتصبح لغة علمية عالمية .

إن من أهم أسباب تخلفنا العلمي والتقني وتبعية الثقافة إهمالنا للغتنا ومحاولات الحط من شأنها ، ونزع الثقة بها ، مما جعلها تتراجع أمام هذا الإهمال وفقدان الثقة حتى اتهمت — ظلماً — فيما بعد بالقصور والجمود . فإذا

أردنا القضاء على هذه التبعية فلا بد من التعريب لأنه نابع من إرادة الجماهير، وكفيل بأن يخلصنا من التبعية الثقافية التي نعيشها . كما يجب علينا العمل على ربط ماضي الأمة بحاضرها ، وهو ما يبعث فينا وفي أجيالنا القادمة الفخر والاعتزاز ، ويخلق لذا كل منا الثقة بأمته ومقدرتها على العطاء الحضاري ، وسيكون هذا بمثابة القوة الدافعة لكل فرد منا على الإبداع والخلق والابتكار ، فالإبداع لا يكون من الفراغ ولا يأتي فجأة وبدون مقدمات، بل لابد له من أصول ينتمي إليها وجذور تغذيه ، كما أن الإبداع لا يكون إلا باللغة الأم ، إذ يجب على المبدع أن يكون فكره نقياً صافياً مركزاً ، وهذا لا يكون إلا إذا كان "المبدع موائماً بين فكره ولسانه ، وأن يكون اللسان ترجماناً آلياً للفكر ، لا أن يصرف المفكر قسماً كبيراً من وقته في ترجمة فكره بلغة لسانه" (١٤) .

إننا في أمس الحاجة إلى الوعي بذاتنا العربية ، وبعث الوعي في جوانب حياتنا التي نريدها مرتبطة بماضيها التليد الذي نستمد منه القوة على البناء والعطاء ، ولابد أن نعي واقعنا ماضياً وحاضراً كي نستطيع أن نرسم صورة حقيقية للمستقبل المنشود .

إن من أهم جوانب هذا الوعي أن يعي الإنسان العربي ذاته وعياً دقيقاً صادقاً، وأن يعرف من هو ، وأن يقف من العالم اليوم . إن الوعي اللغوي بكل أبعاده والفهم الحقيقي لأهمية اللغة ودورها هو بداية الوعي الحقيقي للذات ، لأنه يحدد شخصية الفرد وانتماءه "فالأمة العربية اليوم في حاجة إلى بعث الوعي العميق لكل جوانب أصالتها ، وأن أول خطوات هذا الوعي أن يعي الإنسان العربي ذاته ، ووعي اللغة في معنى من معانيه وعي للذات ، وإن الجامعات

وهي مركز الإشعاع الفكري الحر مدعوة إلى بعث هذا الوعي اللغوي ورفع شعار النهضة اللغوية ، وبيان الحاجة الماسة إليها ، والعمل على توفير أسبابها ، وإعلان أن أية دعوة إلى بناء المجتمع العربي تبقى بتراء ناقصة إذا لم يكن من همها رعاية اللغة ، والعمل على صيانتها ونمائها ومدها بما يكفل موازمتها للتطور العلمي السريع الذي نشهده اليوم^(١٥) .

التعريب الاجتماعي :

إن إتمام عملية التعريب اللغوي لا يعني أننا قد تغلبنا على المشاكل والعقبات التي تحد من تطور حياتنا اللغوية وتحول دون تحقيق النهضة العربية الشاملة . فهذا الجانب من التعريب قاصر عن تمثيل الدور الحضاري الذي نريده ، وعن تحقيق الطموحات التي نصبو إليها ، وهو غير قادر على إخراجنا من دائرة التبعية الثقافية وتقليد الأمم الأخرى . ولا يتحقق ما نريد إلا بإكمال الشق الثاني من التعريب وهو التعريب الاجتماعي . فإذا أردنا تحقيق هذا الشق من التعريب ، فلا بد من دراسة مجتمعنا — بكل جوانبه — دراسة دقيقة واعية ، والغور إلى نفسيات المواطنين ومعرفة طرائق تفكيرهم والمؤثرات التي تؤثر فيها ، فإذا عرفنا تلك المؤثرات ، عرفنا الصعوبات التي تحول دون نمو اللغة وتطورها .

إن من أهم الجوانب السلبية في هذا المجال سيطرة سلطان اللغات الأجنبية على عقول قطاع واسع من المسؤولين في الوطن العربي ، وهو ما أدى إلى تقديس تلك اللغات ، حتى أصبح كثير من هذا القطاع يحاول جاهداً أن يطوع اللغة العربية لمعايير اللغات الأجنبية ومقاييسها ، ويخضعها لقوانينها ، متناسياً أن لكل لغة طبيعتها المستقلة الخاصة التي تميزها عن غيرها من اللغات .

إلى جانب هذا الفهم هناك مركبات النقص (عقدة الخواجا) التي تسيطر على شعوب الدول النامية ، وتجعلهم يؤمنون بتفوق المستعمر الأجنبي ، وأنه وحده هو القادر على تطوير المجتمعات وقيادتها إلى حياة أكثر تقدماً ورقياً وحضارة ، لأنه في نظرهم هو الأكثر حضارة والأعظم رقياً والأعمق فكراً ، وهو وحده الذي يستطيع الإبداع والابتكار ، كل هذا جعل مواطن هذه الدول ينظر إلى كل ما هو أجنبي نظرة إعجاب وتقدير ، مما ينعكس سلباً على مبادئه وقيمه ، فلا زلنا ننظر إلى الذين تلقوا تعليمهم في جامعات أجنبية نظرة تعظيم وإكبار لوهمنا أنهم أكثر قدرة وكفاءة من الذين تعلموا في الجامعات العربية ، حتى أن الحكومات والمسؤولين العرب ينظرون إلى المتخرج في الجامعات الأجنبية (الأمريكية والأوروبية) نظرة أكثر ثقة من نظرة الذي تخرج في الجامعات العربية ، وتقدّمه عليه في المراكز والوظائف ، مما ينعكس سلباً على ثقة المواطن العربي بإنتاج بلاده وجامعاتها وعلمائها ، ولعل المؤسسات التي تفرق بين هذين الخريجين لها الدور الأكبر في ترسيخ هذه المفاهيم لدى الجمهور ، وهي التي تعمق مركبات النقص في نفسه وذاته.

فإذا كنا مصممين على إنجاح التعريب ، وجب علينا مقاومة هذه المفاهيم وإلغائها من عقول أبناء الأمة ، والعمل على خلق الثقة في نفس المواطن العربي وإقناعه بأنه هذه المفاهيم من بقايا الاستعمار ومخلفاته التي لا يزال رباثته وأعدائه يعملون على ترسيخها لدى أبناء الأمة ، فلا بد من إقناع المواطن بزيغ هذه الإدعاءات ، وبأن أمتنا قادرة على بناء النهضة الحضارية كما حصل مثل هذا إيان عصور الازدهار الإسلامية ، وأنها ليست بحاجة إلى من يساعدها في هذا الأمر ، وأن نهضة الأمة الحقيقية والأصيلة هي التي تنبع من داخلها وبهمة رجالها وإبداعات علمائها وابتكاراتهم . لذا وجب العمل على

مسح الأفكار التي أدت إلى تكوين مركبات النقص هذه ونزعت الثقة من النفوس .

إن هذا التوجه هو البداية الحقيقية لإنجاح عملية التعريب ، لأنه الطريق الوحيد لتعريب الإنسان العربي ، فإذا تعرب الإنسان فإن عملية التعريب يتم إنجازها بسهولة ويسر .

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن تعريب التعليم في كل مراحله من أهم جوانب التعريب ، التي يجب العمل على تحقيقها ، وإن عدم تحقيق التعريب الجامعي يعني أن أمتنا لا تزال ناقصة السيادة ، لأنها غير قادرة على الاستغناء عن الخبرات الأجنبية في العملية التعليمية ، وأن التنشئة الفكرية للأجيال القادمة ستكون ناقصة لأنها ليست عربية الأداة . فتعريب التعليم يعني الانعتاق من التبعية ، الثقافية واستكمالاً للسيادة القومية ، والتحرر الكامل من كل روابط الاستعمار ووشائجه "إن تعريب التعليم جملة وتفصيلاً والعالي بخاصة هو استكمال للاستقلال ورفض للتبعية الثقافية واللغوية ، أو لبقاياها وترسباتها"^(١٦) . كما أن عدم تعريب التعليم يعني أن لغتنا عاجزة عن التعبير عن متطلبات العصر ومستجداته ، وهي غير قابلة للتطور والتجديد "إن التعليم بغير اللغة العربية ذو أثر خطير في اللغة نفسها فهو يعزلها عن العلم وعن التطور والتجديد ، فإذا هي بالفعل عاجزة قاصرة"^(١٧) .

كما أن بقاء التعليم باللغات الأجنبية ذو أثر نفسي على طلابنا ، إذ يشعر الفرد منهم أن العربية غير صالحة للعلم والحضارة والمستقبل ، إذ لو كانت صالحة

لذلك لوجب استخدامها لغة للعلم . وهذا ما يجعلهم مقتنعين بضرورة إحلال لغة أخرى محل العربية .

إن دول العالم اليوم تحرص على لغاتها القومية ، وتعتر بها ، وتعمل على تطويرها ، وتوجب كل دولة أن يكون التعليم في مراحلها المختلفة باللغة القومية ، حتى أن هذا الموضوع أصبح مقراً في منظمات الأمم المتحدة ، فمنظمة اليونسكو ترى ضرورة هذا الأمر ، وتشجع الدول على استعمال لغاتها القومية في التعليم ، لأن الطالب الذي يدرس بلغته القومية يبرز نظيره الذي تقدم له مواد الدراسة بلغة أجنبية ، فالأول يقرأ ليفهم ، والثاني يقرأ ليترجم ثم يفهم ، إنه يبذل جهداً أكبر ، ووقتاً أطول من نظيره "الطالب الذي يتلقن العلوم بلغته القومية الطائفة لمعطيات فكره ، يبرز الطالب الذي يناخ لألفاظ في اللغة لم يتسلمها فطرة من أجداده ، هذه اللغة التي تجبر لسانه ودماغه على مزاولتها تصبح قيئاً لأفكاره لا فضاءً حراً فسيحاً يخترقه . تصبح سبب وجود عقدة نفسية مخربة لكيانه المعنوي" (١٨) .

وانطلاقاً من هذا الفهم لأهمية اللغة ، واعتماداً على هذا الأساس عمل كثير من الدول على إحياء لغاتها القومية وتطويرها وجعلها لغة العلم والبحث العلمي ، كما حصل في الكيان الغاصب لفلسطين الذي أحيى اللغة العبرية التي كانت في عداد اللغات الميتة وجعلها لغة العلم في جميع مراحل التعليم .

أهمية التعريب :

لم يعد مفهوم التعريب مقصوراً على الجانب اللغوي فقط ، واتضح "أن الذين ينظرون للتعريب نظرة لغوية فقط يجردونه من مضمونه ومن حقيقته"^(١٩) لأنه أصبح ذا صفة شمولية تغطي جوانب الحياة المختلفة داخل المجتمع العربي ، ولم يعد مقصوراً على المصطلحات والمعاني فقط ، إنه مسألة تفكير أولاً وقبل كل شيء ، ثم مسألة تعبير ، فكل لغة تعكس صورة صادقة لحضارة أمتها وثقافتها ، وتعتبر عنهما تعبيراً أميناً ودقيقاً ، ولكل لغة أسلوبها المميز في طريقة التفكير وكيفية التعبير عنه . وهذا ما يجعل للتعريب أهمية كبرى تتناول جوانب الحياة العربية كلها.

إن التعريب بهذا المفهوم يعني أول ما يعنيه تعريب الإنسان العربي الذي ضعف انتماؤه لهذه الأمة بفعل كثير من العوامل والممارسات الاستعمارية ، ووصل إلى شبه قناعة بأن الانتماء للعروبة يعني شيئاً من الانحطاط الفكري والتخلف الحضاري ، من هنا كان لابد من العمل على أن يعي هذا الإنسان ذاته ، وأن يثق بنفسه وبأمته ، كما يجب أن يتصف بصدق الانتماء وعمقه لهذه الأمة ، وأن يقرّ في ذاته ووجدانه أن الأمة العربية خير أمة أخرجت للناس ، وأن يجري حبها في عروقه ، ويلتزم الدفاع عنها ، وعن مقدراتها بكل الطرق والوسائل ، وأن يكون حبه وإخلاصه لأمته تاماً مطلقاً لا تشوبه أية شائبة ، عندئذ يزهدي بنفسه وأمته ، ويفخر بانتمائه لها . وهذا ما يخلصنا من مركبات النقص وعقده .

إن قناعة الإنسان العربي بهذه المفاهيم ، وإدراكه أن لغته هي ذاته وعنوانه ومموله الفكري ، وأن شخصية الأمة واستقلالها السياسي الحقيقي وسيادتها

الكاملة تأبى إلا أن تكون لغتها هي لغة الحياة ، لغة التعلم والبحث العلمي ، وهو ما يقود إلى إنجاح عملية التعريب في كل مراحل التعليم .

إن نجاح عملية تعريب التعليم سيؤدي إلى تعريب الفكر ، لأن تعريب العلم والتعليم هو تعريب للفكر والتفكير ، فالفكر هو الجوهر الأساسي في هذه العملية ، فعلينا أن نعمل على تنمية الفكر العربي وتعميقه حتى لا يوصف بالسذاجة والسطحية والهامشية ، وتتم هذه التنمية وذلك العمق باكتساب الخبرة وبمد الثقافة وتعميقها ، فانتشار الثقافة واتساع ميدانها وعمقها سيؤدي حتماً إلى عمق التفكير ونموه وهو ما يؤدي إلى المقدرة على الخلق والإبداع .

إن تعريب الفكر سيؤدي إلى هضم ما أخذته العرب عن غيرهم من العلوم والفنون ثم تمثله تمثلاً صحيحاً قادراً على العطاء والإبداع الذي نسعى إليه "لأن الإبداع والابتكار لا يتولدان إلا بعد تمثل صحيح للمعطيات" (٢٠) . هذا الجانب من التعريب "الفكري" سيعزز ثقافتنا بأنفسنا ولغتنا ، ويحثنا على الكتابة بلغتنا العربية ، من أجل تأمين الغذاء الفكري الكافي لأبناء الأمة ، هذا الغذاء هو الذي سيسهم في ملء الفراغ الفكري القاتل الذي يعاني منه معظم الشباب في أرجاء الوطن العربي .

إذا تحقق تعريب العلم والفكر فإنه سيقودنا إلى تعريب الثقافة ، أي تعريب كل جوانب المعرفة في المجتمع العربي ، فتصبح ثقافتنا نابعة من حياتنا الاجتماعية، من مورثنا العلمي والحضاري ، وما يتلاءم مع معتقداتنا وتقاليدنا وتراثنا ، وسيصبح كل ما يقرأه المواطن من إنتاج العقل العربي ، بتعبير آخر أن تكون ثقافتنا ذات جذور تضرب في أعماق تاريخنا ، ثقافة أصيلة عريقة ،

بعيدة عن التقليد والاستعارة والتكرار لما عند الأمم الأخرى ، ثقافة مستقلة لها شخصيتها التي تميزها عن غيرها من الثقافات .

التعريب الثقافي يعني التحرر الكامل من ثقافة المستعمر بكل أشكالها وأدواتها، وهو يعني التخلص التام من التبعية الثقافية التي تسلب الأمم والشعوب التي تصاب بها القدرة على التفكير الحر الأصيل والإنتاج العلمي الحقيقي ، لأن الأمة التي تعيش حالة من التبعية الثقافية لا يمكنها التفكير والعمل والإنتاج إلا من خلال عقول الآخرين وبأيديهم ، كما أن المجتمع التابع ثقافياً مجتمع معدوم الثقافة ، مسلوب الإرادة ، مسلوب القيم والعادات والتقاليد الأصيلة التي ورثها عن أجداده ، فهو كالإنسان المسلوب العقل المكتوف اليدين ، أو كالطفل القاصر الذي يحتاج إلى كل شيء ، يحتاج إلى من يرعاه ، ويفكر له ، ويعمل له ، هذا المجتمع قاصر لا يمكن أن يخطو إلى الأمام لأن إنتاجه سطحي مزور ، "فالأمة التي تأخذ بثقافة أجنبية تجد نفسها حتماً مجبرة على أن تتكيف روحياً مع خصائص تلك الثقافة ومع طبيعتها ، وهو أمر يتعذر عليها تحقيقه اللهم إلا إذا قبلت حالة الاستلاب الزائفة"^(٢١).

يرى البعض أن القبول بالتبعية الثقافية خلال هذه الفترة من تاريخنا الثقافي أمر لا يشكل أي ضرر على مستقبل أجيالنا الثقافي ، شريطة أن تكون هذه المرحلة مرحلة انتقالية إلى أن يتسنى لنا الخروج من مجالات الثقافات الأجنبية ، لأننا في هذه المرحلة قاصرون عن القيام بهذا العبء دون مساعدة خارجية . إن هذا التصور لمرحلة ثقافية انتقالية وهم فاضح لأن "من الخطر الكبير من

أية جهة كانت أن توجد نهجاً ثقافياً تكون فيه التقنية مقطوعة عن اللغة القومية" (٢٢) .

إن القول بقبول ثقافة انتقالية يهدف إلى بقاء هذه الأمة تدور في فلك الدول الأجنبية ، وربما أصبحت هذه الفترة الانتقالية أمراً واقعاً ، إذ ربما تطول تلك الفترة، ويستقر الوضع ، ونتخذة أساساً لتعاملنا وفهمنا لحقائق الأمور والمعطيات ، بل ربما لا نستطيع العودة عنه ونرضى به أمراً واقعاً "فإذا رضينا بالتبعية الثقافية المقررة لفترة وقتية محددة في أهدافها يمكن أن تتحول تلك الفترة إلى وضع عادي بعد أن كان في الحسبان أنها مرحلة انتقالية، ويترتب على هذا الموقف أن يصير وضعاً لا رجعة فيه" (٢٣).

هذا الجانب من التعريب ، الذي ينصب على الجانب الثقافي في حياتنا هو أساس بناء ثقافة عربية أصيلة مستقلة ، وهو جدير بالاهتمام من قبل المسؤولين مالكي القرار في الوطن العربي ، وهو يحتاج إلى دراسة دقيقة وتخطيط سليم ووضع الأسس الكفيلة بإنجاحه ، كما يجب العمل على توفير كل المستلزمات والاحتياجات لتحقيق هذا الغرض ، كإنشاء دور الكتب والمكتبات العامة التي تضم كل أنواع العلوم والمعارف ، فالباحث يعتمد في تكوينه على ما توفره مكتبات بلده من الكتب والمؤلفات ، وما يبده علماء أمته من العلوم والفنون ، وما ينقلوه عن اللغات الأجنبية . فمن هناك وجب أن يكون في هذا الوطن مكتبات متطورة مزودة بكل أنواع التكنولوجيا التي تسهم في توفير الجو العلمي وتوفير الجهد والوقت لكل الباحثين ، إضافة إلى ذلك

يجب العمل على إنشاء دار للمخطوطات وجمع المخطوطات العربية الإسلامية المتناثرة في أرجاء العالم وترميمها وإصلاحها ثم تحقيقها ونشرها ، كما يجب إنشاء دار للترجمة والتأليف على غرار "بيت الحكمة" وتزويدها بما تحتاج إليه من الكتب التي تكون الحاجة ماسة إلى ترجمتها ، وكذلك تشجيع العلماء والمترجمين المحترفين وإغداق الأموال عليهم "إن التعريب العلمي والثقافي يحتاج إلى تخطيط وتنظيم من الدولة ، وإلى تخصيص موارد مالية له ، وهذه العملية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجمع الكتب وتأسيس المكتبات العمومية ، وباستقدام العلماء والمترجمين الذين يتقنون لغتين فأكثر بالإضافة إلى امتلاكهم قاعدة من المعرفة في العلوم التي يترجمونها"^(٢٤) .

إن من أهم ما يحول دون تحقيق التعريب الثقافي العقبات المادية المتمثلة في تغطية نفقات الترجمة ، وشراء حقوق الطباعة والنشر ، وهذا بدوره يسهم في تشويه عملية الترجمة والتأليف ، وينتج عنه كون ما يترجم أو يؤلف ليس في المستوى المطلوب ، فلابد من إنشاء هيئة عربية للرقابة العلمية ، يخضع لها كل ما يؤلف أو يترجم ، فإذا كان هذا الكتاب أو ذاك المؤلف تعوزه الدقة في الترجمة أو التأصيل في التأليف مُنِعَ من الطباعة والنشر ، نحن اليوم نعيش حالة من عدم الالتزام بالدقة والموضوعية في الترجمة والتأليف ، إضافة إلى عدم مراعاة حاجة المجتمع من الكتب والمؤلفات ، كذلك حاجة الفرد من الغذاء الفكري الذي يصقل مواهبه وقدراته.

كثير مما نتجه اليوم من الترجمات والمؤلفات لا تفي بالغرض ولا تروي ظمأ المتعطشين للعلم والمعرفة ، فهي ليست ذات قيمة علمية ، بل إنها لا تزيد عن نقول مبتورة من هنا وهناك ، وترجمات مشوهة لا تعبر عن روح النص

المترجم ، ولا غرض لها إلا الكسب المادي فقط ، فهم الكاتب أو المؤلف رواج ما يكتبه عند الجمهور دون النظر إلى فائدته ، فهو ينشد الربح المادي فقط . من هنا ندرك أهمية الترجمة الرصينة والتأليف العميق الجاد ، كما ندرك خطورة التسبب في الترجمة والتأليف ، لذا كان لابد من إنشاء هيئة للرقابة تقوم بتحديد الكتب المراد ترجمتها . وتحديد الأشخاص الذين يسمح لهم بالترجمة وفق شروط ومعايير خاصة تحددها تلك الهيئة ، حتى يمكننا أن نصح مسار الترجمة ، ونتخلص من الوضع السائد الآن ، فكل شخص يترجم ما يشاء وكيفما شاء ، همه الأول والأخير الكسب المادي ، فمثل هذه الترجمة تحكمها الأغراض الشخصية ولا تأبه لمصلحة المجتمع . فكثير من المترجمين لا صلة لهم بالترجمة ، وليسوا أهلاً لها ، وغير أمناء على ما يترجمون، فقد يخرج أحدهم عن الأصل ويغير الفكرة الأساسية لما يقوم بترجمته ، همه إرضاء رغبات مجموعات من الناس لا هم لهم إلا التسلية وقتل الوقت فيما لا يفيد "إن إهمال التعريب الثقافي ، أو بعبارة أدق تركه تحت رحمة التجار وقوانين السوق "العرض والطلب" كان له نتائج سيئة ستظهر خصوصاً في انحطاط مستوى الإنتاج ، حيث إن المترجم ودار النشر التي يهتمها في المكان الأول رواج العمل المترجم والحصول على الربح السريع سيتجه في اختياره إلى تملق الجماهير وسد حاجتها إلى التسلية وترجية الوقت" (٢٥) .

معوقات تحقيق التعريب :

للتعريب رسالة هامة تكمن في تخليص النفس العربية من كل الشكوك التي رسخها أعداء الأمة في نفوس أبنائها ، فقد أصبح فريق من أبناء الأمة يبحث

عن كيفية التخلص من العروبة والانتساب إلى العرب وكل ما يربطه بهم وبلغتهم . فثار على كل القيم والعادات والتقاليد ، مدعياً أنها قيم بالية ، وعادات قبيحة ، وتقاليد مهترئة ، لأنه اقتنع أو أقنع برفض كل ما لدى العرب ، وأن الإنسان المتحضر هو الذي يملك لغة راقية من وجهة نظره ، كما ثار على العربية وعزا لها التخلف والجمود وعدم القدرة على مواكبة روح العصر ، ونسب إليها سبب التأخر الذي تحياه الأمة العربية .

ومن هنا دأب على العمل من أجل الخلاص من اللغة العربية ، ويحاول استخدام أية لغة أجنبية تقوده — بزعمه — إلى أن ينتسب إلى مجتمع راقٍ متفتح، ليس لسلوكيات أهله حدود أو ضوابط ، فكل شيء فيه مباح ، ويمكن للمرء في هذا المجتمع فعل ما يريد . وغاب عنه أن "أية لغة أجنبية إذا أخذت بها الطبقات الأكثر نفوذاً في المجتمع ، سواء في تعلمها أو استعمالها فسوف لن ينظر إليها كلغة أجنبية، وسوف تصبح لغة مشتركة تؤدي في نهاية المطاف إلى طرد اللغة القومية القديمة من خلال تفتيتها إلى لهجات ثم تداعيتها"^(٢٦) .

ولا يكفي هذا الفريق باستخدام لغة أخرى إلى جانب اللغة العربية ، بل يحرص كل الحرص على تعليم أطفاله لغة أجنبية أو أكثر ، يرى أنها لغة المستقبل، وغاب عن هذا الفريق أن "الطفل ابن الخمس سنوات ، يستطيع خلال أربعة أشهر أن يكتسب لغة أخرى ، وينسى تماماً استعمال الأولى أو فهم حتى أقل قدر منها"^(٢٧) . وكأن هذا الفريق يعمل — بقصد أو بدون قصد —

على إقصاء اللغة العربية من الحياة ، والقضاء عليها بعدم استعمالها ، وبهذا يحقق القضاء على الأمة العربية كلها.

ونسى هذا الفريق أو تناسى أن سبب التأخر عندنا هو نحن أنفسنا ، وليس للغة دور فيه . فإذا أردنا أن ننهض أو نتطور في كل مناحي الحياة ، فعلينا ألا نتكل على الآخرين ، ونفترض منهم كل ما نحتاج إليه من ألفاظ ، دون أي محاولة للاعتماد على النفس في سد حاجاتنا من هذه الألفاظ ، ولغتنا قادرة على ذلك بما تتمتع به من خصائص ومزايا تؤهلها لأن تكون لغة علمية عالمية وقد كانت كذلك فيما مضى .

كما علينا أن نوقن العزم ونؤكد على إنتاج كل ما ينقصنا من الثقافة ، ونبتكر ونبدع كما يبتكر الآخرون ويبدعون ، وعلينا أن نستقل علمياً وفكرياً وثقافياً وألا نكون تابعين في أي منحنى من مناحي الحياة أو جانب من جوانبها.

إن الإنتاج التقني والإبداع الفكري هما خير وسيلة تسهم في الاستغناء عن الأمم الأخرى ، إذ يجعلنا قادرين على وضع أسماء مخترعاتنا وإبداعاتنا بلغتنا القومية مما يترتب عليه تناقص اعتمادنا على الاقتراض من اللغات الأخرى ، وهو ما يصل بنا إلى الاستقلال التام علمياً وثقافياً واجتماعياً.

والتعريب مطلب قومي ملح نابع من إرادة الجماهير العربية ، وهو يعني فيما يعنيه إحلال اللغة العربية محل اللغات الأجنبية في التعليم مما يخلق لدى طلابنا وأجيالنا الثقة بلغتهم وأمتهم ومن ثم في نفوسهم ، ويقودهم نحو الخلق والإبداع .

كما يعني توسيع اللغة العربية ، وإثرائها بإدخال صيغ ومصطلحات جديدة إليها لتستطيع التعبير عن مستجدات العصر ، وهو يعني كذلك أن تصبح العربية لغة التخاطب في مجالات الحياة المختلفة ، وفي كل أرجاء الوطن العربي ، وهو يحرص على عدم استخدام أية لغة غير العربية في كل

مؤسسات وإدارات الوطن العربي ، إنه يعني سيادة اللغة العربية في المجتمعات العربية كافة ، وعلى كل المستويات الحياتية المختلفة ، وفي كل مناحي الحياة ، ويعمل على مجابهة كل ما يحد من انتشار العربية من مشكلات ، وكل ما يقف حائلاً دون تعميمها ، من أجل أن تصبح لغة الحياة والعلم . "إن تعلقنا بلغتنا وسعيننا في المحافظة عليها وتصفيتها من الشوائب ليس أمراً خاصاً بالعرب ، بل نرى اليوم الشعوب الراقية كلها تسير في نفس هذا الطريق ، ومنها ما يبلغ به الأمر إلى حالة التعصب مثل ما نراه عند أهل بلجيكا المتكلمين بالنيرلاندية حيث قرروا أخيراً العقاب بالسجن وغيره لكل من ثبت استعماله الفرنسية تكلاماً أو كتابة وهو يقوم بعمل رسمي" (٢٨) .

وبقدر أهمية التعريب ، وحاجة الأمة إليه ، بقدر ما يعترض تحقيقه من صعوبات لا تزال تقف حائلاً دون تحقيقه ، ولعل أهمها :

عدم الاهتمام باللغة العربية والعمل على نشرها :

الاهتمام باللغة العربية يعني المحافظة عليها ، والعمل على تطويرها وحمايتها ، وكذلك العمل على انتشارها ، لأن انتشارها يعني نجاح عملية التعريب ، والعمل على نشرها يعني العمل على إنجاح التعريب ، وهناك مشكلات كثيرة تحول دون انتشار العربية ، كتخلف المستوى العلمي وضعف التعليم ، وقلة المراجع العلمية والتأليف العلمي العربي ، وقلة التنسيق الثقافي والعلمي في الوطن العربي ، واللهجات ، وإغفال نشر العربية خارج حدود الوطن العربي

إن تخلف المستوى العلمي وضعف التعليم في الوطن العربي من أهم المشكلات التي تحد من انتشار العربية ، فالتعليم هو أساس كل تقدم حضاري، كما أنه أساس كل نهضة اجتماعية ، وبه يحكم على المجتمع من حيث التطور سلباً أو إيجاباً ، فالمجتمع الذي يعيش مستوى علمياً متدنياً لن يتوفر لأبنائه فرص التعليم الجيد الذي ينمي قدراتهم ويصقل مواهبهم بالقدر المطلوب الذي يتيح لهم فرص الإبداع والخلق .

إن التخلف العلمي وضعف التعليم سينتج عنه حتماً ضعف في اللغة القومية التي هي أداة الفكر ، ووسيلة الإبداع ، وإذا عدمت اللغة الإبداع والخلق تحجرت داخل المجتمع الذي تعيش فيه ، وانعزلت عن اللغات الأخرى، وفقدت إمكانية كونها لغة عالمية .

إن هذا الانعزال اللغوي يحد من انتشار اللغة ، وهو كما رأينا ناتج عن ضعف التعليم وانحطاط المستوى العلمي في عالمنا العربي ، وهو السبب الوحيد للتخلف الحضاري والتقني الذي تعيشه أمتنا ، وهذا التخلف سبب من الأسباب التي تحول دون انتشار اللغة العربية .

نقاس قيمة اللغة وأهميتها بعدد الناطقين بها ، وبما أُلّف بها من روائع أدبية وفنية ، وبما كتب بها من قضايا ونظريات علمية ، فكلما زاد عدد المتكلمين بلغة ما زادت أهميتها في المحافل الدولية ، وبقدر ما يبذل أهلها ينظر إليها الآخرون نظرة تقدير واحترام . من هنا نرى الأمم المتقدمة تحرص على نشر لغاتها في العالم ، وتبذل كل ما في وسعها لتحقيق هذه الغاية ، إيماناً منها بأن انتشار اللغة يخدم القضايا القومية ، كما يخدم اللغة نفسها ، لذا عمدت تلك الدول إلى نشر لغاتها في الدول الأخرى بعدة وسائل ، كفتح المدارس والجامعات ، وإرسال البعثات التبشيرية، ونشر الدعاية ، وتقديم المساعدات

والمنح ، وإرسال الخبراء في معظم مجالات الحياة ، كما حرصت على إقامة تبادل ثقافي مع الدول الأخرى .

ومما يحد من انتشار العربية قلّة التأليف بها وقلّة المراجع العلمية ، فكثير من علمائنا ومفكرينا يكتبون أبحاثهم ومؤلفاتهم بلغات أجنبية ، مما يكون له أثر سيء يحرم اللغة من الخروج ، ويمنعها من الانتشار خارج الوطن العربي .

إن تلك الأبحاث والمؤلفات التي وضعت بلغات أجنبية ، تصنف ضمن إبداعات اللغات التي كتبت بها ، وتحرم العربية من هذه الميزة ، ومن الانتشار ، لأن الكتابة بلغة ما تجبر القارئ والباحث على التعامل مع هذه اللغة ، ويحرص على تعلمها ، فكلما زاد النشاط العلمي والفني بهذه اللغة ؛ زادت حاجة الباحثين والعلماء من الأمم الأخرى إليها ، وهذا سيؤدي بالتالي إلى زيادة رقعة التعامل بها ، وسرعة انتشارها ، وانتقالها من مرحلة الأخذ إلى مرحلة العطاء .

ومن الأسباب التي حدّت من انتشار اللغة العربية فقدان التنسيق العلمي واختلاف التوجه الثقافي بين الأقطار العربية ، مما أدى إلى وجود سياسات تعليمية وتنقيفية عربية مختلفة ، نتج عنه اختلاف البرامج التعليمية والتنقيفية عند العرب ، وترتب عليه اختلاف في فهم القضايا العلمية والثقافية واستيعابها، وهو ما يقود بدوره إلى وجود ثقافات متباينة بين أفراد الأمة ، ويؤدي إلى ضعف الترابط بينهم ، وسيكون سبباً في قلّة الإنتاج العلمي والأدبي ، إلى جانب تشتيت القدرات العلمية ، والطاقات الخلاقة للأمة ، ويؤثر سلباً على انتشار العربية ، والارتقاء بها لتصبح قادرة على مواكبة تطورات العصر ، والتعبير عن كل المستجدات .

وكلما نمت اللغة وارتقت كانت أقدر على الإنتاج والابتكار ، وأقدر على تغطية ما يدور في الفكر من القضايا ، والتعبير عنها . كما أن الفكر يصبح أكثر حركة واتقاداً لأنه يملك لغة قوية قادرة على مجاراته والتعبير عنه.

فلا بد من تضافر الجهود من أجل رقي اللغة والارتقاء بها ، لأن الرقي اللغوي يحقق للعمل الفني سبباً تعبيراً ، ويجعله قادراً على التأثير المباشر في الجمهور.

الأمية :

الأمية تعني الجهل والتخلف ، إنها تعني الفقر والمرض ، فالإنسان الأمي إنسان ضعيف عاجز ، مهزوز الثقة بنفسه ، لا يعرف ذاته بكل أبعادها، إنه متردد في سلوكه لا يستطيع أن يقوم بأعماله بثقة في نفسه ، إنه مسلوب الإرادة ، قاصر التفكير ، ينظر إلى الأمور بمنظور مخالف ، منظور غير واقعي ، لأنه لا يستطيع تحديد المسائل ووزنها بدقة وعناية .

فالمجتمع الذي تغلب الأمية على أفراده ، مجتمع متخلف في كل مناحي الحياة، لأن الأمية عنوان الانحطاط الفكري والقصور التعبيري ، إنها رمز لكل جمود وتحجر ، ولا يمكن أن تتصور أمة متخلفة تسعى للخلاص من تخلفها دون أن تكون عازمة على محاربة الأمية والقضاء عليها ، ودون أن تكون جادة بالنهوض السريع بلغتها ، لأن النهوض باللغة القومية والارتقاء بها يعني بداية نهضة حضارية شاملة في كل جوانب الحياة ، إنه يعني بداية صحيحة حقيقية جادة لبناء المجتمع على أسس علمية وفنية ثابتة يقوم عليها البنيان المنشود .

وإذا نظرنا إلى المجتمع العربي وجدنا أن الأمية لا تزال متفشية بين نسبة كبيرة من أفراده ، فهناك أقطار عربية لا تزال الأمية بين أفرادها تزيد على ٥٠% ، وهذا يعني أن تلك الأقطار غير قادرة على وضع خطط دقيقة شاملة للتنمية والنهوض الحضاري ، لأن الأمية تحول دون أي تقدم أو تطور ، إنها

من أهم المشاكل التي تحول دون تحقيق التعريب بجوانبه المختلفة ، فلا بد إذاً من محاربة الأمية على كل المستويات وفي كل بقاع الوطن العربي ، كما لا بد من العمل الجاد والمخلص من أجل النهوض باللغة العربية ، لأن نهوض اللغة سيحقق السبب التعبيري والجمالي لكل عمل فني ، فكل موقع يتحرر من الأمية ، يدخل مرحلة جديدة تسير به قدماً نحو التعريب الذي هو بداية لكل تطور حضاري "من هنا كان حتماً أن ترتبط أهداف التعريب في هذا المنطلق بمبدأ القضاء على الأمية ، وهو الانتهاء بإدارة البحوث العلمية والتكنولوجية بعقلية عربية منفتحة على معارف العالم المتطور وعلى لغاته" (٢٩) .

إن ما تقوم به بعض الأقطار العربية من برامج لمحو الأمية يعد خطوة هامة في سبيل القضاء على الأمية ، كما أن تعميم التعليم ومجانيته وإلزاميته أمر هام وخطوة إيجابية من أجل التخلص من داء الأمية وقيودها ، وتحقيق هذا المطلب يصبح بناء العملية التنموية في كل أقطار الوطن العربي سهلاً وميسوراً ، كما يمكن من التغلب على مركب النقص الذي يعاني منه الكثير من أبناء أمتنا لجهلهم وعدم قدرتهم على تحليل الأمور تحليلاً منطقياً ، وفهمها دقيقاً ، ووزنها بميزان العلم .

الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية :

اختلف الباحثون في فهم كل من الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية ، ولم يتفقوا على المقصود بكل مصطلح منهما .

فذهب فريق منهم إلى أن الازدواجية ترجمة للمصطلح الانجليزي Bilingualism وهي تعني وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما ، أو في مجتمع ما في آن واحد ، إحداها اللغة القومية ، وثانيهما لغة أجنبية دخيلة وافدة ،

كالعربية والانجليزية . كما رأى هذا الفريق أيضاً أن الثنائية اللغوية ترجمة للمصطلح الانجليزي Diglossie ، وهي تعني وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما ، أو في مجتمع ما ، إحداهما أصل (اللغة الأم) والثانية فرع (اللهجة المحلية)^(٣٠) .

وذهب الفريق الآخر إلى فهم معاكس للفهم السابق لهذين المصطلحين ، فرأى أن الازدواجية ترجمة للمصطلح Diglossie ، وتعني وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما أو في مجتمع معين ، وأن الثنائية ترجمة للمصطلح Bilingualism ، وتعني وجود اللغة الأم وإلى جانبها لهجة أو لهجات محلية^(٣١) . ويبدو أن مصطلح Bilingualism أكثر دلالة على معنى الازدواجية التي يقصد بها اللغة الأم وإحدى لهجاتها .

وكيفما كان فهم الباحثين لهذين المصطلحين فإن كلا منهما يسهم في إضعاف اللغة الأم والقضاء عليها . إلا أن الثنائية أشد خطراً على اللغة القومية ، لأنها سبب من أسباب القصور الفكري والتخلف الإبداعي ، لأن فرص الإبداع لدى الباحث الذي يفكر بلغته الأم ويكتب بها أكثر وأرحب منها عند غيره الذي يفكر بلغة ويكتب بلغة ثانية ، وهو الذي أصيب بانفصام بين التفكير والتعبير . إن من يقرأ كتاباً بلغته الأم يبذل مجهوداً واحداً لفهم معانيه والوقوف على أسراره، أما من يقرأ كتاباً بلغة أجنبية فإنه يبذل مجهودين ، أولهما لفهم اللغة الأجنبية وترجمتها ، وثانيهما لفهم المضمون العام الذي يشتمل عليه الكتاب ، وهذا يترتب عليه ضياع للوقت ، وعدم الدقة في المواعمة بين فكره ولسانه ،

وهو ما يجعله غير قادر على الإبداع والخلق ، لأن من "شروط الإبداع الفكري ، أن يكون المبدع موائماً بين فكره ولسانه ، وأن يكون اللسان ترجماناً آلياً للفكر ، لا أن يصرف المفكر قسماً كبيراً من جهده في ترجمة فكره بلغة لسانه" (٣٢) . من هنا ندرك كما يدرك الآخرون أن فرص النبوغ والخلق والإبداع لدى الثنائيين أقل بكثير منها عند الأحاديين الذين يفكرون ويكتبون بنفس اللغة ، لأن بين اللغة والفكر رابطة قوية لا تتفصم فهما وجهان لعملة واحدة . لذا يجب ألا يفصل بين الطفل ولغته الأم ، ويجب العمل على ترسيخها في عقله ووجدانه ، ولا يسمح بوجود لغات أخرى في مراحل تحصيله الأولى ، فقد دلت الأبحاث التربوية والنفسية على أن الطفل الذي يمارس لغة إلى جانب لغته القومية وهو دون سن العاشرة أو الثانية عشرة ، تضعف طاقته الاستيعابية ويقل تحصيله ، لأنه قد توزع بين لغتين وبين عبقريتين ، بل وبين أمتين .

فالأمة التي تهتم باللغات الأجنبية ، وتحرص على تعليمها لأبنائها في سن مبكر ، تضع لغتها القومية في سباق قد يكون غير متكافئ مع اللغات الأخرى ، "لأن اللغة الأم لا تقبل لها ضرة تحت سقف بيتها ، فإما هي وإما غيرها" (٣٣) . فلا بد من انتصار إحداها التي هي اللغة الأجنبية .

فإذا حصل هذا الانتصار وأصبحت اللغة الأجنبية هي اللغة القومية وأصبحت اللغة الأم تابعة لها ، اختل التوازن الفكري والاجتماعي لتلك الأمة ، وأصبحت مسلوكة الإرادة ، عاجزة عن التطور والنمو العلمي والحضاري ، أسيرة

لغيرها من الأمم "إذ يستحيل على أي شعب ما أن يغير مصيره إلى الأفضل بواسطة لغة أجنبية عنه ، والشعب الذي يفقد لغته يفقد حريته واستقلاله" (٣٤) .

إن السماح للغة أجنبية أن تزاحم اللغة القومية للمجتمع يعني السماح للفكر الأجنبي بالسيطرة التامة على حياة ذلك المجتمع ، فإذا استكان ذلك المجتمع للثقافة تكيف روحياً مع مزايا تلك الثقافة وخصائصها ، وخضع لكل قيمها ومبادئها ، مما يعني انعدام شخصية الأمة الحقيقية الأصلية ، وانقطاعها عن تراثها ، مما ينتج عنه شخصية مشوهة لتلك الأمة ، لا تتضح لها لغة قومية ، كما لا يتضح لها فكر قومي حر ، لأن اللغة مرآة الفكر ، ومعين التراث ، وذاتية المجتمع ، وهي الوطن الروحي لكل شعب من الشعوب ، "فالشعب الذي يتمادى في معرفة اللغات الأجنبية يدرك روح أجداد هذه اللغات دون إرادة منه ، وهو سبب للغموض الذي يطفو على إنشائه ، وسبب للعبودية أيضاً ، ولكن بشكل ثقافة . واحد من اثنين : إما أن يُحكَمَ الشعب لغة أجنبية إذ ذاك تحل مركز الصدارة وتصير بدورها اللغة القومية وإذ ذاك تلغى أمومة اللغة الأولى لتصبح لغة تابعة . ومتى تأجنت اللغة تأجنت الفكر حتماً ، إذ لا فرق جوهراً بين عقل ونطق . ومتى تأجنت الفكر تأجنت الشعور القومي، إذ لا يمكن لإنسان أن يُحكَمَ لغة ما فتتقلب لغته الأم بدون أن تميل كل جوارحه النفسية نحو الشعب الذي يتكلم هذه اللغة" (٣٥) .

إن الصراع بين الأصالة الثقافية والحضارة المستورة الذي نشهده في الأقطار العربية ناتج عن هذه الثنائية اللغوية البغيضة التي تحول دون تحقيق التعريب ، ودون سيادة لغتنا العربية في مجتمعنا العربي .

هذا الصراع يجعل الشخصية الثقافية العربية باهتة مهزوزة ، كما يجعلها ثقافة غير كاملة ، وهو من أهم العوائق التي تقف حائلاً أمام أي تقدم حضاري أصيل نسعى إليه .

إن هذه المرحلة من حياة أمتنا ، التي يغلب عليها التردد والتعثر وعدم الجدية في وضع برامج علمية ثقافية محددة واضحة من أجل بناء حضارة حقيقية ، ناتجة عن استيراد النقانة الأجنبية ، مصحوبة بلغات البلدان المنتجة لتلك النقانة وثقافتها .

فإذا أردنا أن نبني حضارة عربية أصيلة ، وجب علينا أن نعمل جاهدين على تعميم لغتنا في كل مناحي حياتنا ، وتعريب العلم والفكر والثقافة ، لنكون منتجين للنقانة لا مستوردين لها ، إن هذا النهج الذي ننهجه الآن لن يخرجنا من دائرة التبعية الثقافية والحضارية للبلدان الأجنبية التي نستورد منها العلم والنقانة إلى جانب لغاتها وثقافتها .

كما أن هذا النهج يعمل على هجرة العقول العربية ، وهذا يعني نقل الإبداع العربي إلى الأمم الأخرى . فبدلاً من أن تبقى هذه العقول داخل وطنها تعمل على تكوين نواة علمية حقيقية قادرة على الإبداع والابتكار ، من أجل تحقيق نهضة الأمة ، وكسر قيود التبعية الصناعية والتقنية التي تحياها ، بدلاً من هذا كله تصبح عقول مبدعينا منتجة في الأمم الأخرى ، وتحسب كل إبداعاتها إبداعات للأمم الأخرى ، وتحرم منه أمتة العربية ، وهذا يعني أننا سنبقى تابعين لنور في فلك الأمم الأخرى ، ونعتمد عليها في كل ما نحتاج ، ولا يمكن أن نسير إلى الأمام ونحن نعاني من هجرة العقول العربية .

الازدواجية اللغوية :

يقصد بالازدواجية اللغوية وجود مستويين لغويين لدى الفرد أو في المجتمع ، أحدهما أصل هو اللغة الأم ، والآخر هو اللهجة المحلية (العامية) ، وهذا التفرع ناتج عن التطور اللغوي الذي يلزم اللغة في كل مراحل حياتها . فالازدواجية ليست حكراً على لغة دون أخرى ، بل هي ظاهرة في جميع اللغات ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها امتداد لازدواج العقل والحس عند الإنسان فقال : "هذه الثنائية التي بين العقل والحس "نقصد بين الوجدان المنطقي والوجدان العاطفي" هي عينها التي نجدها في اللغة بين العامية والفصحى ، وهذا يعني أولاً أن ازدواجية اللغة امتداد لازدواجية اللطيفة البشرية . ويعني ثانياً أن الازدواجية في اللغة ليست وفقاً على العربية وحدها، ففي كل لغة لسان عامي ولسان فصيح" (٣٦) .

هذا اللسان العامي انشعب عن الفصيح ، واختلف عنه في كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والمفردات ، وتفرع إلى لهجات محلية انفرد كل منها ببعض الخصائص نتيجة للظروف الخاصة بهذه اللهجة أو تلك، وقد خسرت هذه اللهجات كثيراً من صفات اللغة الأمة وخصائصها ، فأصبحت فقيرة في ثروتها اللفظية ، مضطربة في أساليبها وقواعدها ، مختلفة في معاني ألفاظها ووظائفها داخل الجملة ، حتى إن ترابط هذه الألفاظ داخل الجمل ضعيف ولا يفي بالغرض ، ولا يمكن لهذه العاميات أن تحل محل الفصحى وتغني عنها ، فهي غير قادرة على التعبير عن المعاني والأساليب والحقائق العلمية والقضايا الأدبية والفكرية بدقة تامة. وإذا حاولنا استخدامها بدلاً من الفصحى كنا نعمل على القضاء على كل إبداع وابتكار ، لأنها لغة ضعيفة

مقيدة مشوّهة ، ولغة كهذه سينتج عنها فكر ضعيف قاصر ، ليس أهلاً للنهوض بالأمة ، لأن الفكر الناضج يتطلب لغة قوية رصينة تسعفه في التعبير ، فإذا فقد هذا الأمر ضعف شأنه وضاق مجاله ، وأصبح مقتصرأ على سفاسف الأمور ، كما أن اللغة هي الرافد الأساس للفكر ، وهي القلب والمستودع الذي يختزن الفكر ، فإن ضاق هذا واختل وضعه ، ضاق مجال الفكر واضطرب إنتاجه .

إن وجود العامية واستعمالها أمر طبيعي ، لا خوف منه ، ولا خطر على الفصحى إذا كان استخدام العامية ضرورة أملتھا الظروف ، وما دام هذا الاستخدام لا يراد لذاته ، لكن الخطر يكمن في الفكر العامي لأنه يعمل على "تمزيق الأمة العربية الواحدة إلى أمم بعدد اللهجات التي تنتشر فيها ، وتمزيق الشعب الواحد داخل الدولة الواحدة في كل قطر عربي إلى أقاليم ولهجات عامية ؛ تحاول كل منها أن تسود غيرها من اللهجات وتنتزع سلطانها" (٣٧) .

وقد اتخذ هذا الفكر العامي طرائق مختلفة ومناهج متعددة من أجل محاربة العربية الفصحى ، كالاهتمام بالأدب الشعبي والعمل على تشجيعه وتنشيطه بحجة أنه تصوير دقيق وأمين للحياة الاجتماعية التي تحياها الأمة . ويقصد بالأدب الشعبي "كل ما هو متداول بغير العربية الفصيحة مما يختلف في البلد الواحد باختلاف القرى وتعدد البيئات" (٣٨) .

هذا الأدب الشعبي الذين يطالب به كثيرون ، ليس إلأ أدب العامية أطلق عليه اسم الشعبي تلطفأ ، وحتى يقبله الجمهور . والهدف من هذا المطلب قطع

ارتباط الناس بلغتهم الفصيحة وثقافتهم وتراثهم ، من أجل إعادهم عن الاتصال بالأدب العربي في العصور القديمة ، حتى تتسع الشقة بينه وبين الأجيال القادمة وحتى يمكن وصمه بالقدم والبعد عن واقع الحياة المعاصرة ، فإذا أردنا المعاصرة والتحضر فعلينا أن نقطع صلتنا بهذا التراث المتحجر .

والحديث عن الأدب الشعبي يقودنا إلى الحديث عن لغة المسرح والسينما ، وعن لغة الإعلام ، من صحافة وإذاعة وتلفزة وغيرها . إن استخدام العامية لغة للمسرح أو لوسائل الإعلام هو السبب الأول والأهم في القضاء على وحدة أمتنا ، والعامل الهام في تفتيتها ، لأن "من أكبر العوامل الضارة باللغة العربية وبمستقبلها وحتى بمستقبل الوحدة العربية استعمال اللهجات المحلية في السينما والمسرح وفي الإذاعة والتلفزة ، إذ لا يجمع بين البلاد العربية إلا لغة القرآن ، والعدول عنها إلى اللهجات المحلية هو خصم لهذه الوحدة" (٣٩) .

إن الصراع بين الفصحى والعامية مرير ومستمر ، فإذا أردنا أن يكون النصر في هذا الصراع للفصحى وجب علينا أن نحارب العامية بكل الوسائل والطرق العلمية ، فلا بد من دراسة اللهجات العامية في كل أقطار الوطن العربي وبيئاتها ، ومقابلتها بالفصحى للوقوف على الاختلافات وتحديد الفوارق بينهما ، والإفادة من علم اللغة التقابلي بكل إمكاناته في هذا المجال .

كما أن تنشئة أجيالنا على اللغة الفصحى ، وتعويدهم على استخدامها في كل مكان ، في المدرسة ، وفي البيت ، وفي الشارع ، بمساعدة المدرسين وأولياء الأمور ووسائل الإعلام ، سيخلق عندهم ألفة لهذه اللغة ، وحباً لها وتمسكاً بها مما يسهم في تفصيح المجتمع ، ويسمو بالعامية نحو الفصحى ، ويعمل على ردم الهوة بينهما .

كما أن تعميم التعريب في كل مجالات الحياة المختلفة يسقط المشكلة من أساسها ويطلق العنان للفصحى لتأخذ مكانها الطبيعي في حياة هذه الأمة .

المصطلح :

يعتبر كثير من الباحثين والمفكرين أن نقص المصطلح العربي هو المشكلة الوحيدة التي تحول دون تحقيق التعريب الشامل ، إذ يرون أن عدم توفر المصطلحات هو أساس المشكلة ، فلو توفرت هذه المصطلحات لانتهت المشكلة ، ولأمكن أن يعم التعريب كل أرجاء الوطن العربي ، وكافة جوانب الحياة العربية ، إلا أن هذا الفهم غير دقيق ، لأن عدم وجود المصطلح ليس هو المشكلة ، بل المشكلة هي المقدرة على فهم المعاني المستجدة والتعبير عنها ، "إن قضية المصطلح من حيث هو ألفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة - ليس بصميم المشكلة - بل قد تكون - على ما لها من شأن - أهون جوانبها ، وإنما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصويرها ثم الإبانة عنها"^(٤٠) .

إن التمكن من مسائل العلم ومفاهيم المصطلحات والإحاطة الشاملة بكل ما عرفته العربية من الألفاظ الجديدة ، وبكل ما تحتاج إليه من هذه الألفاظ ، كل ذلك يخلق القدرة على توليد المصطلحات في كل مجالات العلوم والفنون ، فالمصطلح "هو اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني ، أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة"^(٤١) .

إن عملية الاصطلاح لا تحتاج أن يكون المصطلح مطابقاً تماماً للمسمى بكل خصائصه وأبعاده ، فيمكن وضع المصطلح لأقل مناسبة للمعنى . فليس ضرورياً أن تطابق المفردة التي اصطلاح عليها المعنى العلمي تطابقاً تاماً ، فقد يطلق اسم المستكشف ، أو مكان الاكتشاف ، أو بعض الأسباب والملابس التي أدت إلى هذا الاكتشاف أو أسهمت فيه . والضروري هنا الاستعمال الذي يجزر هذا الأمر ، ويجعل اللفظ المصطلحي يشير إلى مسماه ، كما أن كثرة استعمال ذلك المصطلح هي التي تشعرنا بصحته ، وبأنه يدل على ذاك المسمى ، ويشير إليه بكل دقة ووضوح "ولا ننسى أن المصطلح يوضع لأدنى ملابسة بالمعنى ، وحتى هذه المصطلحات الأجنبية نفسها ليست دلالتها اللغوية البسيطة بمؤدية معانيها العلمية الدقيقة . لولا أنها اصطلاح بها لهذه الأغراض ، ومن ثم فليس من الصعب إطلاقاً الاصطلاح بمقابلات عربية لها من دون انقياد لشكل تركيبها إذا استعان المشتغل بالعلوم بأهل اللغة في ذلك" (٤٢) .

فعلى علمائنا أن يصطلحوا ، وسيقوم الجمهور باستخدام هذه المصطلحات واستعمالها ، وهذا الاستعمال هو الذي يحدد الأفضل والأصلح منها ، ويقره لفظة معروفة دالة محددة الدلالة ، فعملية الحصول على المصطلح العلمي الحقيقي لا تتم إلا بعد استعمال اللفظ الذي اصطلاح عليه ، "فليس من المفروض أن يجد أهل العلم عند المجامع والهيئات المعنية بالتعريب مصطلحاً جاهزاً لكل فكرة علمية دقيقة ، أو كشف علمي جديد ، إنما يضع العلماء أنفسهم اللفظ العلمي وهم يستعينون أهل اللغة في ذلك كلما دعت الحاجة إليه" (٤٣) .

وعلى الباحث ألا يلجأ إلى تعريب اللفظ الأجنبي يدخله إلى العربية على علته ، معتمداً على مقولة باطلة هي أن هذه الألفاظ عالمية ، تستعمل في كل دول

العالم. بل لابد من البحث في اللغة العربية ، ومحاولة الإفادة من كل إمكاناتها من أجل إيجاد مقابل لذلك اللفظ ، فإن تعذر عليه ذلك لجأ إلى تعريبه. كما يجب أن تكون عملية الاصطلاح مقننة على مستوى الوطن العربي ، لا أن تكون حسب أهواء الأفراد وعلى أمزجتهم ، كل يعمل على شاكلته دون رقيب ودون اعتبار المصلحة العامة ، وقد نتج عن هذا تعدد المصطلح في الوطن العربي وترتب على ذلك أن أصبح كل قطر من الأقطار العربية يرى أن ما وضعه هو الصواب ، مما ينذر بوجود أكثر من لغة علمية في هذا الوطن. من هنا نرى ضرورة توحيد المصطلحات في الوطن العربي ، حتى نتمكن من خلق لغة علمية عربية واحدة يفهمها كل العرب ، وتحد من فوضى المصطلحات — التي نتجت عن نقل كل مبتكرات ومستجدات العصر ، والتي أدت إلى بلبلة الفهم ، وخطأ غير يسير في فهم دلالات المصطلحات وتحديد معانيها بدقة — حتى يمكن هضمها وتمثيلها ، ومن ثم التعبير عنها بدقة ، واستخدامها بشجاعة في البحوث والاكتشافات .

ضعف الانتماء الصادق للأمة العربية الواحدة، والاستعاضة عنه بالانتماء القطري أو الإقليمي:

حرص المستعمر منذ أن دخل بلاد العرب على تنفيذ شعاره المعروف " فرّق تسد " ، فعمل على تشجيع الفرقة والطائفية والفئوية والإقليمية ، وبذل كل ما في وسعه لتحقيق هذه الغاية ، فعمل على تقسيم الوطن الواحد إلى أوطان ، وقطع صلة المواطن العربي بأمتة و وطنه الكبير ، و تكريس انتمائه لإقليمه أو قطره الذي يعيش فيه من خلال ترسيخه هذه الثقافة في عقول المواطنين ، كما عمل على تشجيع اللهجات المحلية ، و خلق المنافسات بينها التي تؤدي إلى التعصيب الأعمى ، وإلى القضاء على اللغة العربية الفصيحة التي هي الرباط الأوثق بين أبناء الأمة ، و

قطع التواصل بين أبناء الوطن الواحد ، من أجل تفتيت الأمة و شردمتها ، وهدم ترابطها و وحدتها لتصبح أمماً و أقاليم بدلاً من كونها أمة واحدة و وطناً موحداً .

و قد استجاب كثير من أبناء أمتنا لهذه الثقافة و هذا التوجه ، و أصبح لا يحس بأي رباط يربطه بأبناء جلدته ، همه الأول المحافظة على لهجته المحلية ، و التعصب للإقليم الذي يعيش فيه ، لا يلتفت إلى ما يحصل في بقية الأقاليم ، كما عمل بعضهم على تنمية عاميته و إقصاء الفصحى بقصد أو بدون قصد ، ولعل الدعوة إلى العامية ، والدعوة إلى اللاتينية خير ما يدل على هذا .

و إذا أردنا النجاح للتعريب باعتباره قضية هامة ملحة ، فعلىنا محاربة هذه الانتماءات الإقليمية ، و العمل على أن يكون الانتماء كله للوطن العربي الواحد الذي يجمع في رحابه كل أبناء العرب ، كما علينا محاربة اللهجات المحلية ، و ترسيخ ثقافة الانتماء القومي بين أبناء العروبة ، و هو ما يتطلب عملاً دؤوباً و جهداً كبيراً متواصلاً من أجل خلق ثقافة عربية أصالية موحدة ، تجمع أبناء الأمة على لغة واحدة ، و انتماء وطني واحد ، وطريقة تفكير واحدة ، بدلاً من الشرذمة القاتلة التي يسعى إليها أعداء هذه الأمة .

ولعلي لا أغالي إذا قلت أننا لو جربنا إجراء استفتاء سري و نزيه بين أبناء أمتنا حول انتماء كل منهم ، لوجدنا أن القسم الأكبر منهم لا يسعده الانتماء للعروبة ، و أنه لا يعرف إلا الانتماء للقطر الذي يعيش فيه ، و هو غير معنيّ بما يجري في بقية الأقطار العربية ولا يهمه ذلك بشيء . و إننا لنلمس مثل هذا الانتماء و العنصرية الإقليمية حتى بين المتقنين العرب ، و النخب العربية ، و المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية ، يبدو ذلك واضحاً

فيما يترجم من علوم و فنون ، و فيما يوضع من مصطلحات علمية و فنية وتقنية .

فالعلماء و الباحثون في كل قطر يصطلحون بالطريقة التي تتماشى مع ثقافة القطر الذين يعيشون فيه ، و تتناسب مع حياة أفرادهم ، دون تنسيق مع أي قطر آخر من أقطار الوطن العربي ، و لا يهتم ما عند غيرهم من أشقائهم العرب ، و قد كان لهذا العمل خطورته على اللغة العربية ، إذ نتج عنه ترادف في المصطلحات العلمية و التقنية، و هذا يعني أن لكل قطر لغته العلمية الخاصة التي تختلف عن لغات بقية الأقطار العربية ، و هذا نلمسه كذلك في جهود الترجمة حيث تتم بطريقة عشوائية، تغلب عليها الفوضى بين البلدان العربية ، فالكتاب الواحد قد يترجم في أكثر من قطر، و كل قطر يرى أن الترجمة التي قام بها هي الأصوب و الأفضل ، و أن أي ترجمة أخرى لا قيمة لها و لا يلتفت إليها ، وهذا تكريس للانقسام و للانشقاق ، و سيقود في النهاية إلى تمزيق الفصحى ، و من ثم تمزيق الأمة .

لقد سمعت في إحدى الفضائيات الرسمية أحد المسؤولين في مجال الثقافة و الفنون يقول لمحاوره : علينا أن نعمل على تعميم لهجتنا " لهجة القطر الذي ينتمي إليه " و تسويدها في كل أرجاء الوطن العربي ، و هذا قول خطير يعكس ثقافة قائله ، و يوحي بأنه ليس لديه انتماء للأمة العربية ولا للغة العربية ، و إن انتماءه لا يتعدى حدود القطر الذي يعيش فيه ، و هذا دعوة للإقليمية البغيضة التي يترتب عليها تمزيق الأمة ، و القضاء على العربية الفصحى ، لأنه لا يمكن للهجة أن تحل محل اللغة الأم إلا بعد إقصاء تلك الأم و من ثم تفتيتها و قتلها .

اللغة هويتنا و ذاتيتنا ، و يجب علينا العمل بكل قوة من أجل المحافظة عليها ، و بقاء هذه الذاتية سوية قيمة ، مستقلة تماماً ، خالية من أي تشويه أو تغيير. كما أن اللغة ووطننا الروحي الذي يجب أن نحافظ على أمنه ، و نحقق له الأمن اللغوي ، كما نحافظ على أمن الوطن الذي نعيش على أرضه ، فعلياً أن نحرس اللغة كما نحرس حدود الوطن ، و نراقب معابره و منافذه، كما نراقب ذلك في اللغة ، فلا نسمح بدخول الألفاظ الأجنبية إلا في الضرورة القصوى ، و بعد استتفاد كافة الإمكانيات ، و الطاقات ، و أن يكون ذلك برخصة من أعلى المستويات الثقافية و العلمية ، فكثرة دخول الألفاظ الأجنبية بطرق عشوائية غير مدروسة بليّة عظيمة ووبال خطير و مجلبة لأضرار كثيرة على اللغة، يخلق بين ألفاظها ما يمكن تسميته ببطالة الألفاظ ، و هو تشويه للغة في البداية و انحسار تدريجي لها إلى أن تصل إلى الانزواء و عدم الاستعمال . وقد بلغ من حرص الأمم على لغاتها أن رفض بعضها دخول أي لفظ على لغته القومية كما هو حال الأمة الفرنسية في العصر الحديث ، حيث أنشأت لجنة لقراءة لغتها ، و العمل على طرد كل لفظة ليست من أصول فرنسية و استبدالها بلفظة فرنسية حتى تبقى هذه اللغة صافية لا تشوبها شائبة .

أما نحن في عالمنا العربي فنعمل عكس ذلك ، إذ يفاخر بعضنا باستخدام اللغات الأجنبية في أحاديثه و كتاباته ، طناً منه أن هذا السلوك يزيده مكانة واحتراماً في المجتمع . و هو واهم في فهمه هذا لأن من يستخدم لغة الآخرين ينسلخ تدريجياً عن مجتمعه إلى أن يلفظه ذلك المجتمع ويلفظه المجتمع الآخر الذي حاول الانتماء إليه .

نتائج البحث :

بعد هذا العرض لقضية التعريب و أبعادها و أهميتها و الأسباب التي تحول دون تحقيقها ، توصل البحث إلى النتائج التالية :

- (١) التعريب قضية هامة لا تقتصر على تعريب المفردات فقط ، بل يتسع ليشمل كل جوانب الحياة العربية ، كما يشمل الإنسان العربي ذاته الذي يجب تعريبه كذلك .
- (٢) لا يمكن لهذه القضية أن تنجح و تحقق أهدافها إلا إذا صحّ انتماء أبناء الأمة العربية و صدق ، و إذا وعى الإنسان العربي ذاته و عياً حقيقياً و عرف نفسه و المطلوب منه .
- (٣) من أهم معوقات التعريب : عدم الاهتمام باللغة العربية و إهمال نشرها خارج حدود الوطن ، و الأمية التي هي عدو كل نمو و تطور ، و الازدواجية اللغوية و الثنائية اللغوية لأنهما عدوان لدودان للعربية الفصحى ، و ضعف الانتماء لدى الإنسان العربي . كل هذه معوقات للتعريب ، و لا يمكن لهذه التجربة أن تنجح و تؤتي أكلها إلا بالعمل على التخلص من كل ما يقف عائقاً في وجهها .

(٤) إن تعريب التعليم في أقطار الوطن العربي قضية هامة ، و هو الذي يوصل إلى تعريب الفكر ، الذي يقود إلى تعريب الثقافة و النهوض بالأمة لغوياً و فكرياً و ثقافياً ، كما أنه يقود إلى الاعتماد على العربية الفصحى في كل مناحي الحياة العربية ، و ينقلها من وضعها الحالي إلى اللغة العلمية القادرة على مواكبة التطور العالمي لتأخذ مكانها الحقيقي و الطبيعي بين لغات العالم .

هوامش البحث

- (١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب ، مادة (ع ب ر) .
- (٢) الجوهري ، إسماعيل بن حماد . الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية" ، مادة (ع ب ر)
- (٣) الخفاجي ، شهاب الدين . شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ص ٢٤ .
- (٤) الجواليقي ، أبو منصور . المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ص ٩٤ .
- (٥) العاملي ، أحمد رضا . مولد اللغة ، ص ٦١ .
- (٦) الصالح ، صبحي . دراسات في فقه اللغة ، ص ٣١٩ .
- (٧) الترابي ، دفع الله . مجلة اللسان العربي ، ص ٧٧ .
- (٨) الغلالي ، مصطفى . التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية ، ص ٤٧٣ .
- (٩) بشر ، كمال . مجلة الدارة ، ص ١٧٦ .
- (١٠) بشر ، كمال . نفس المرجع والصفحة .
- (١١) بشر ، كمال . السابق ، ص ١٧٧ .
- (١٢) بشر ، كمال . السابق ، ص ١٧٩ .
- (١٣) خوري ، شحادة . مجلة اللسان العربي ، ص ١٤٠ .
- (١٤) المبارك ، مازن . اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ، ص ٢٨ .
- (١٥) المبارك ، مازن السابق ، ص ١٠ .
- (١٦) خوري ، شحادة . مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

- (١٧) المبارك ، مازن . مرجع سابق ، ص ٢٢ .
- (١٨) الحاج ، كمال يوسف . في فلسفة اللغة ، ص ١٤١ .
- (١٩) الركيبى ، عبد الله . مجلة الأصالة ، ص ١٠٤ .
- (٢٠) خوري ، شحادة . مرجع سابق ، ص ١٤٠ .
- (٢١) سليمان ، عشراني . مجلة المنهل ، ص ١٠١ .
- (٢٢) شبوب ، عثمان . مجلة الأصالة ، ص ٧ .
- (٢٣) الصيادي ، محمد المنجي . التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، ص ١٨ .
- العربي ، إسماعيل . مجلة الأصالة ، ص ١٧٧ .
- (٢٤) العربي ، إسماعيل . مجلة الأصالة ، ص ١٧٧ .
- (٢٥) العربي ، إسماعيل . السابق ، ص ١٨٢ .
- (٢٦) مارتينييه ، أندريه . مبادئ اللسانيات . ترجمة : أحمد الحلو ، ص ١٦٩ . الفاسي ، محمد . مجلة الأصالة ، ص ١١٧ .
- (٢٧) مارتينييه ، أندريه . السابق والصفحة .
- (٢٨) الفاسي ، محمد . مجلة الأصالة ، ص ١١٧ .
- (٢٩) سليمان ، عشراني . المرجع سابق ، ص ٩٨ .
- (٣٠) الحاج ، كمال يوسف . مرجع سابق ، ص ١٥٦ ، يعقوب ، أميل بديع .
فقه اللغة العربية وخصائصها ، نقلاً عن Dictionnaire de Linguistique
Jean Dubaiset autres : ، بن نعمان ، أحمد . مجلة المستقبل العربي ،
ص ٨١ ، عياشي ، منذر . مجلة الحرس الوطني ، ص ٩٩ .
- (٣١) الزغول ، محمد راجي . مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ص ١٢٢ .
- سراج ، نادر ، مجلة الاجتهاد ، ص ٢١٧ .
- (٣٢) المبارك ، مازن . مرجع سابق ، ص ٢٨ .
- (٣٣) الحاج ، كمال يوسف . مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

- (٣٤) شوب ، عثمان . مرجع سابق ، ص ٧ .
- (٣٥) الحاج ، كمال يوسف . مرجع سابق ، ص ١٥١ - ١٥٢ .
- (٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
- (٣٧) بن تنباك ، مرزوق بن صنيان . الفصحى نظرية الفكر العامي ص ١١٥ .
- (٣٨) حسين ، محمد محمد . الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ص ٣٦٨/٢ .
- (٣٩) الفاسي ، محمد . مجلة الأصالة ، ص ١١٤ .
- (٤٠) سبح ، حسني . مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ص ٢٦ .
- (٤١) شاهين ، عبد الصبور . العربية لغة العلوم والتقنية ، ص ١١٨ .
- (٤٢) الملائكة ، جميل . مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ص ٣٨ .
- (٤٣) الملائكة ، جميل . المرجع السابق ، ص ٢٧ .

المصادر و المراجع

- (١) بشر ، كمال محمد : " التعريب بين التفكير والتعبير " مجلة الدارة ، العدد الرابع ، السنة التاسعة عشرة ١٤١٤ هـ .
- (٢) الترابي ، دفع الله : " نحو التعريب في مجال التكنولوجيا " مجلة اللسان العربي ، مجلد ١٤ الجزء الأول ١٩٨٦ م .
- (٣) بن تنباك ، مرزوق بن صنيان : " الفصحى نظرية الفكر العامي " مطابع الفرزدق التجارية - الرياض ١٩٨٦ م .
- (٤) الجواليقي ، أبو منصور : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار الكتب - القاهرة ، الطبعة الثانية .
- (٥) الجوهري ، إسماعيل بن حماد : الصحاح " تاج اللغة و صحاح العربية " ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - الطبعة الثانية .
- (٦) الحاج ، كمال يوسف : فلسفة اللغة - دار النهار للنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .
- (٧) حسين ، محمد محمد : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثامنة ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .

- (٨) الخفاجي ، شهاب الدين : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة المنيرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٢م.
- (٩) خوري ، شحادة : " تعريب التعليم العالي و صلته بالترجمة و المصطلح " مجلة اللسان العربي - العدد ٢١ ، ١٩٨٢/١٩٨٣ م .
- (١٠) الركيبي ، عبد الله : " تعريب الفكر أولاً " - مجلة الأصالة - السنة الرابعة - العدد ١٧-١٨ ، ١٩٣٧/١٩٧٤م .
- (١١) الزغول ، محمد راجي : " ازدواجية اللغة " مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد المزدوج ١٠/٩ ، آب - كانون أول ١٩٨٠ م .
- (١٢) سبيح ، حسني : " تعريب علوم الطب " مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .
- (١٣) سراج ، نادر : " الازدواجية اللغوية في اللسان العربي " مجلة الاجتهاد ، السنة الخامسة - العدد ٢٠ ، ١٩٩٣م .
- (١٤) سليمان ، ع شراتي : " التعريب الاستراتيجية والتاريخ " مجلة المنهل ، العدد ٥٠٤ ، ١٤١٣هـ .
- (١٥) شاهين، عبد الصبور : العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

- (١٦) شوب ، عثمان : " من اللغة تبدأ الثورة والتجديد " مجلة الأصالة - السنة الرابعة - العدد ١٧-١٨ ، ١٩٧٣/١٩٧٤ م .
- (١٧) الصالح ، صبحي : دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة العاشرة ١٩٨٣ م .
- (١٨) الصيادي ، محمد المنجي : التعريب و تنسيقه في الوطن العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .
- (١٩) العاملي ، أحمد رضا : مولد اللغة - بيروت ١٩٥٦ م .
- (٢٠) العربي ، إسماعيل : " تجربتان في التعريب " مجلة الأصالة - السنة الرابعة - العدد ١٧-١٨ ، ١٩٧٣/١٩٧٤ م .
- (٢١) عياشي ، منذر : " العربية و وهم ازدواجية اللغة " مجلة الحرس الوطني - السنة الثانية - العدد ٥٧ ، ١٩٨٧ م .
- (٢٢) الفاسي ، محمد : " التعريب و وسائل تحقيقه " مجلة الأصالة - السنة الرابعة - العدد ١٧-١٨ ، ١٩٧٣/١٩٧٤ م .
- (٢٣) الفلالي ، مصطفى : " نحو استراتيجية للتعريب في الوطن العربي " ضمن كتاب : التعريب و دوره في تدعيم الوجود العربي و الوحدة العربي . مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .
- (٢٤) مارتينييه ، أندريه : " مبادئ اللسانيات " ، ترجمة : أحمد الحلو - المطبعة الجديدة - دمشق ١٤٠٤-١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤/١٩٨٥ م .

(٢٥) المبارك ، مازن : اللغة العربية في التعليم العالي و
البحث العلمي - دار النفائس - بيروت - الطبعة الثانية
١٩٨١ م .

(٢٦) الملائكة ، جميل : " الصعوبات المفتعلة على درب
التعريب " مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

(٢٧) يعقوب ، أميل بدیع : فقه اللغة العربية و خصائصها - دار العلم
للملايين - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .